حيث امرهم بالايمان مع تقرر علمه بانهم يموتون على الكفر ثم اعلم
ان الطاعة بحسب الطاقة قال تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها اي قدرتها
وقدرة العبد التي يجب بها اهلا للتكليف الطاعة هي سلامة الالة التي بها
يودي ما يجب من المعرفة والعبادة فلذا لا يكلف الصبي والمجنون بالايمان
ولا الاخرس بالاقرار باللسان ولا المقعد العاجز عن القيام بالقيام على مقتضى
الاحسان فكان ابو جهل غير مسلوب العقل ولم يكن له ان يقول لا اقدر على
ان اصدق واعترف وكذلك المومن الصحيح التارك للصلاة ليس له ان يقول لا اقدر
على ان اصلي و الحاصل ان العبد ليس له ان يتعذر ويتعلق بالقضاء والقدر وفيه
اشكال مشهور يظهر في تفسير قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم
تنذرهم لا يومنون حيث تكلف الرابية في وقوع علم الله انهم لا يومنون ووجه
الاشكال كلام حيث امرهم بالايمان مع تقرر علمه بانهم يموتون على الكفر والجواب
ان ايمانهم محال لا لذاته بل لغيره حيث تعلق علم الله بعدمه منهم في عدم ايمانهم
عاصون من وجه وطايعون من وجه ولعل هذا المعنى يستفاد من قوله تعالى وله
اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي انقاد فيما اراد به العباد وحتى القدر
مختفي على البشر في الدنيا بل في العقبى فبرهم قال تعالى فلله الحجة البالغة فلو شاء لهديكم
اجمعين و الحاصل ان الاستطاعة صفة يخلقها الله تعالى عند اكتساب الفعل
بعد سلامة الاسباب والالات فان قصد العبد فعل الخير خلق الله تعالى قدرة فعل
الخير وان قصد فعل الشر خلق قدرة فعل الشر فكان العبد هو المضيع لقدرة
فعل الخير فيستحق الذم والعقاب ولذا ذم الله الكافرين بانهم لا يستطيعون
السمع اي لا يقصرون استماع كلام الرسول على وجه التامل وطلب الحق حتى
يعلموا ويعملوا به بل يسمعون على وجه الانكار وقد يقع لفظ الاستطاعة
على سلامة الاسباب والالات والجوارح كما في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا وصحة
التكليف تعتمد هذه الاستطاعة التي هي سلامة الاسباب والالات لا الاستطاعة
بمعنى الاول فتامل مع ان القدرة صالحة للضدين عند ابي حنيفة حتى ان القدرة
المصروفة الى الكفر هي بعينها القدرة التي تصرف الى الايمان بلا اختلاف الا في التعلق

تيسر

وهو

وهو لا يوجب الاختلاف في نفس القدرة فالكافر قادر على الايمان المكلف به الا
انه صرف قدرته الى الكفر وضيع باختياره صرفها الى الايمان فاستحق الذم والعقاب
من هذا الباب واما ما يمتنع بالغير بناء على ان الله تعالى علم خلافه واراد خلافه
كايمان الكافر وطاعة العاصي فلا نزاع في وقوع التكليف به لكونه مقدورا
المكلف بالنظر الى نفسه فليس التكليف به تكليفا بما ليس في وسع البشر
نظرا الى ذاته ومن قال انه تكليف بما ليس في وسع البشر فقد نظر الى ما عرض له
من تعلق علمه تعالى وارادته سبحانه بخلافه وبالجملة لو لم يكلف
العبد به لم يكن تارك المامور عاصيا فلزم عدم مثل ايمان الكافر وطاعة الفاسق
من قبيل المحال بناء على تعلق علمه وارادته بخلافه وهو غير تام من قبل الا ان
بناء على عدم تعلق القدرة الحادثة به نفسه والا لم يوجد عقيبه وهذا نزاع
لفظي عند ارباب التحقيق والله ولي التوفيق ثم اعلم ان مراتب ما ليس في
وسع البشر اجمالا ثلاث اقصاها ان يمتنع بنفسه مفهومه كجمع الضدين وقلب
الحقايق واعدام القديم وهذا لا يدخل تحت القدرة القديمة فضلا عن الحادثة
واوسطها ان لا تتعلق به القدرة الحادثة اصلا كخلق الاجسام او عادة كحمل الجبل
والصعود الى السماء وادناها ان يمتنع لتعلق علمه سبحانه وارادته بعدم وقوعه
وفي جواز التكليف بالمرتبة الاولى تردد ولا نزاع في عدم الوقوع وجواز الثانية
مختلف فيه ولا خلاف في عدم الوقوع ووقوع الثالثة متفق عليه فضلا عن جوازها
والانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم اي جميعهم الشامل للرسل ومشاهيرهم وغيرهم
اولهم ادم على ما ثبت بالكتاب والسنة واجماع الامة فما نقل عن بعض من انكار
نبوته يكون كفرا و قد روي انه عليه الصلاة والسلام سئل عن عدد
الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا و في رواية مائتا الف
واربعة وعشرون الفا والاولى ان لا يقتصر على عدد فيهم منزهون اي معصومون
عن الصغاير اي من جميع المعاصي والكبائر خص لانه اكبر الكبائر ولكونه سبحانه لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والقبائح وفي نسخة الفواحش وهي
اخص من الكبائر في مقام التغليظ كما يدل عليه قوله سبحانه الذين يجتنبون كبائر

Copyright © King Saud University